وأَجملوا في الطلب

د. عمر الزعبي
دكتوراه في المعاملات المالية والقانون - مدرس في كلتي الآداب والتربية بجامعة حماة

روى أبا حميد الساعدي عن رسول الهدى صلى الله عليه وسلم قوله:

(أيها الناسُ اتقوا اللهَ، وأَجملوا في الطَّلَبِ، فإنَّ نفسًا لن تموتَ حتى تستوفِيَ رزقَها، وإن أبطأَ عنها، فاتَّقوا اللهَ، وأَجملوا في الطَّلَبِ، خُذوا ما حَلَّ، ودَعوا ما حَرُمَ).

وروى أيضًا حديثه صلى الله عليه وسلم: **(أجملوا في طلبِ الدُّنيا فإنَّ كلاًّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ لَهُ)**.

يحتمل الإجمال أوجها، منها:

* الوجه الأول: عبد يطلب منهمكا فيه، ومتوجهٌ بكليته إليه، فهذا في طلبه على هذه الصورة قد صرف نظره عن الله، لأن الهمة إذا اتجهت إلى شيء انصرفت عما عداه، إذ ليس للقلب إلا وجهة واحدة إن توجهت إلى جهة انصرفت عن سواها {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}.

– إن القيام بالأوجه كلها بآن واحد من شأن الإلهية {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ}.

– يعني أنه سبحانه لا يشغله شأن أهل الأرض عن شأن أهل السماء، فالكل في قبضة التدبير دون خلل، بخلاف الإنسان فإنه إذ اتجه إلى جهتين معًا، فمعناه أن ثمة خللا يقع في كلتا الجهتين، أو في إحداهما على أقل تقدير.

– لهذا كرر سبحانه ذكر { إِلَهٌ } مع السماء والأرض، ولو لم يكرر لم يفد معنى الإحاطة من هذا اللفظ.

* الوجه الثاني: هو ان يطلب من الله تعالى ولا يعين قدرًا، ولا سببًا، ولا وقتًا، لأن الله تعالى يرزق من شاء، متى شاء، وبما شاء، وهذا من حسن الأدب في الطلب ! والتعيين في الطلب لا يعرو عن لمسة التحكم والرأي.

– ود أحدهم لو ترك التسبب رزق كل يوم رغيفان ! وبعد أيام سجن ظلما، وكان السجان يأتيه بما طلب: رغيفين! فلما شكا مما صار إليه، قيل له: طلبت رغيفين، ولم تطلب العافية، فأعطيناك ما طلبت، فاستغفر ففتح باب السجن ليخرج.

– لا تطلب الخروج بنفسك من أمر وضعك الله فيه، فإذا أخرجك تكون قد خرجت به ! وفي هذا ورد في الحكمة: إرادتُكَ التجريدَ مع إقامةِ اللهِ إيَّاكَ في الأسباب من الشَّهوة الخفيةِ وإرادتُكَ الأسبابَ مع إقامةِ اللهِ إيَّاكَ في التجريد انحطاطٌ عن الهِمَّةِ العَلَيَّةِ.

– لدينا من الاعتبار ما كان من أمر آدم عليه السلام وحواء، جاءهما العدو {وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ}. والقصد من الوسوسة أن يخرج العبد عن مجال الرضا بما أقامه الله فيه.

* الوجه الثالث: أن تطلب منه، وقصدك مناجاته، لا عين ما طلبت، ويكون الطلب توسلاً لهذا، قال العارفون: لا يكن همك في دعائك الظفر بقضاء حاجتك، فتكون محجوبا عن ربك، ولتكن همتك مناجاة ربك

– قيل كان موسى – عليه السلام يطوف قبل أن يذهب إلى المناجاة على بني إسرائيل، ويقول: "من يحملني رسالة إلى ربي"، وذلك لتطول المناجاة مع الله.

– أن تطلب، وأنت تشهد أنك مطلوب بما قُسم لك، وأنك مقصود به، وليس طلبك مَوصلا اليه.

– ألا تطلب بحظ البشرية، ولكن لإظهار العبودية.

– أن تطلب منه ما يكفيك، لا ما يطغيك، في الحديث: (**اللهم اجعل قوت آل محمد كفافًا**) و: "قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه".

– أن تطلب ولا تستعجل الإجابة (**يستجاب لأحدكم ما لم يقل دعوت فلم يستجب لي**)

– أن تطلب وأنت شاكر إذا أعطاك، وشاهد حسن اختياره إن منع، وكفى بالعبد جهلا أن يتخير على مولاه، وإذا سألته، فسله، وأنت مفوض له غير مدبر معه، ولا مختار عليه، والمدعو به على ثلاثة أوجه: خير محض، وشر محض، ومبهم لا يدرى، وفي المبهم كالغنى ورفعة المنزلة والجاه يقول: إن فيه خيراً لي فاقسمه لي، وإلا فاصرفه عني.

– الاعتماد في الطلب على سابق القسمة من الأزل.

– أن يطلب وهو يرى أنه ليس أهلا أن يجاب طلبه.